# تعقيبات

واحد منهم يقول :

كتب إلى أديب فاضل يقول : « رأيتك أيها الجاحظ فى عدد الرسالة السابق تحمل على جريدة المانشستر جارديان فيما زعمته من أن أكبر عائق فى سبيل نشر التعليم بمصر ، وبالتالى فى تحقيق التقدم الاجتماعى فى شتى النواحى ، هو الاختلاف الكبير بين العربية الفصحى واللغة العامية الدارجة ، ثم دعوتها إلى الانحدار بالفصحى إلى مدارج العامية ، ولكنك تغاضيت عن رأى مماثل أبداه الأستاذ أحمد أمين فى مقال كتبه منذ شهور بمجلة المستمع العربى التى تصدر فى لندن ، وزعم فيه أن جمهور الشعب فى مصر لا يصل إليه الأدب .. الذى يثقفه ويعلى مستواه ويرقى ذوقه ويهذب عواطفه ، وذلك لأنه ليس عندنا أديب للعامة وإنما كل أدبائنا للخاصة ، والسبب فى ذلك — كما يقول — هو وجود لغتين : لغة عامية ولغة فصحى . وأننا إلى الآن لم ننجح فى التوفيق بينهما . فماذا تقول أيها الجاحظ فى هذا الرأى الذى يراه شيخ من شيوخ الأدب فى مصر؟! وكيف تسكت عن هذا الرأى يخرج من مصر ولا تسكت عنه إذ يأتى من أوروبا ؟ ! »

وأنا أحب أن أقول « للأديب الفاضل » قبل كل شىء إن الأستاذ أحمد أمين ليس من شيوخ الأدب ، وإن من الظلم أن نحشره بين الأدباء ، وإنما هو رجل باحث يتحلى بصبر العلماء ، فغاية ما تؤهله إليه مواهبه أن يكف على مراجعة آراء السابقين ، فيقابل بينها ، ويرتبها ، ويعلق عليها بما يبدو له فى ثناياها ، وإنه ليظلم مواهبه ويتكلف الشطط إذ يزج بنفسه فى مضمار الأدب ، وإنه ليخرج على طبيعته خروجاً متكلفاً إذ يمضى على طريقة الأدباء فيمد بصره إلى « النظر فى النجوم » ، أو يجلس لمداعبة « صندوق الكتاكيت » ...

وإذا كان الأستاذ أحمد أمين يقول إن وجود لغة عامية ولغة فصحى هو العائق فى سبيل توصيل الأدب إلى العامة ، وأن الواجب ، كما يفهم من قوله ، أن نوفق بينهما ، فإنى لا أناقشه فى هذا الكلام ، ولكنى أسأله أن يتقدم فيأتى لنا بأسلوب خليط من العامية والفصحى انرى أى شىء يكون هذا الأسلوب الخليط ، ولعله يوفق فى هذا فيكون صاحب طريقة فى الأسلوب نؤثر عنه ، وتعرف فيما بعد بالطريقة الأحمدية الأمينية ، كالطرق الجاحظية والعميدية والفاضلية التى عرفت فى أساليب الجاحظ وابن العميد والقاضى الفاضل ...

ألا رحم الله الرافعى ونضر قبره ، فقد كشف عن العلة فى هذا الرأى المريب إذ قال فى إحدى مقالاته : « إنى لا أعرف من السبب فى ضعف الأساليب الكتابية والنزول باللغة دون منزلتها . إلا واحداً من ثلاثة ، فإما مستعمرون يهدمون الأمة فى لغتها وآدابها لتتحول عن أساس تاريخها الذى هى به أمة ولن تكون أمة إلا به ، وإما النشأة فى الأدب على مثل نهج الترجمة فى الجملة الإنجيلية والانطباع عليها وتعويج اللسان بها ؛ وإما الجهل من حيث هو الجهل أو من حيث هو الضعف ، فإنه ليس كل كاتب ببليغ ، ولا كل من ارتهن نفسه بصناعة نبغ فيها وإن هو نسب إليها وإن عد فى طبقة من أهلها ، والكتابة صناعة لها أدواتها ، وفيها النمط الأعلى والأوسط وما دون ذلك ... أفمن الرأى أن نعين المستعمرين على خصائصنا ومقوماتنا أو نتخذ فى اللغة أديانا شتى ، أو نجعل قياس العلم من الجهل فى بعضه والضعف عن بعضه ، وإلا فماذا بقى بعد هذه الثلاثة مما ينفسح له جانب العذر إذا نحن قلنا بمذهب جديد فى اللغة ... !!

« أحسب إخواننا فى مصر أنهم كانوا يحسنون اليوم شيئاً من الكتابة الفصيحة لو لم يكن فى العصر الذى خلا من قبلهم أمثال السيد جمال الدين ومحمد عبده وعلى يوسف والبارودى والمويلحى وغيرهم ممن دفعوا الاستعمار عن اللغة ببلاغتهم وردوا أساليب السياسة اللغوية بأساليب الفصاحة ، وأشرعوا دون الميراث العربى أقلامهم ، وحاطوه بألسنتهم ، وحفظوه بعقائدهم حتى أمنوا عليه أن ينقص أو يمحق » ...

وبعد ، فتلك هى العلة ، وذلك هو الأصل فى هذه الدعوى المريبة ، وإن من دلائل الريبة أن تظهر هذه الدعوة وتتطاول بها رءوس دعاتها فى وقت يجاهد فيه أبناء العروبة لدعم الروح العربية وتآلفها وإقامتها رباطاً وثيقاً بين أبنائها وأقطارها فيأبى هؤلاء إلا أن ينقضوا ذلك الرباط بالدعوة إلى العامية ... والأمية ...

على أني لا أتهم الأستاذ أحمد أمين ، ولكني رأيته ينادي بدعوة مريبة فكان لابد أن أكشف عن الأصل فيها . وإني لمنتظر من الأستاذ الفاضل أن يقدم لنا نمطاً من ذلك الأسلوب الذي يراه في التقريب بين العربية والعامية ..

## الفن الاشتراكي !!

تقول برقية من موسكو : إن الحزب الشيوعي قد قام بحملة في الأشهر الأخيرة لتخليص الفن السوفيتي من آثار البرجوازية الغربية ، وتقول البرقية : إن هذه الحملة قد كللت بالنجاح ، فأصبحت الكتب والروايات والمراقص ودور الأوبرا والسينما وغيرها من معارض الفن مصبوغة بصبغة الجهاد الاشتراكي ، فهي لا تعرض إلا إلى إظهار سمو المواطن الروسي والدعاية للسياسة الشيوعية في تذليل مصاعب الإنتاج والحياة المنزلية والشئون الدولية ، فإن جاوزت هذا الهدف فإلى إظهار الأخطاء التي ارتكبت في معالجة هذه المسائل في دول الرأسمالية .

وقد ذكرني هذا الصنيع بما عمدت إليه النازية المختلية في ألمانيا من قبل ، إذ أصدر « جوبلز » أمراً يحرم به على النقاد الحكم على الآثار الأدبية ، وطلب منهم أن يقفوا في عملهم عند عرض الموضوعات وبسطها دون التعليق عليها أو إبداء الرأي فيها ، وقال في تعليل هذا الصنيع : « إن الفن لا يفقد شيئاً إذا ما بعد أولئك النقدة الأغرار من الميدان ، إذ العظمة الزائفة تسقط من غير أن يسقطها النقد ، أما أصحاب العظمة الحقيقية فيجب أن يسمح لهم بحرية الابتكار والاحتفاظ بكرامتهم الفنية » ، والواقع أن ذلك الداعية النازي لم يكن يقصد بهذا العمل إلى حماية « أصحاب العظمة الحقيقية » وإنما كان يقصد إلى وضع الإنتاج الأدبي تحت سيطرة السياسة ، وتسخيره للدعاية النازية ...

وهذه محاولات باطلة ، لأنها مصادمة للأدب في طبيعته ، ومصادرة له في مهمته ، فإن الأدب — كما يقول مكسيم جوركي أديب روسيا الشيوعية — يجب أن يتلمس الإنسانية من جميع أطرافها ، وأن يخاطبها بالإخلاص المنبثق من أعماق الروح الطاهرة ، وأنت إذا ما نظرت ملياً إلى هذا الاتجاه ظهر لك الغرض الخطير الذي يقصد إليه الأدب ، وهو الذهاب بسائر الفروق ووجوه الخلاف والنزاع القائم بين الناس وإنقاذ الإنسانية من شر هذا التنازع ، والتغلب على قوى الطبيعة الغامضة المرهوبة ، ويوم يحقق الأدب ذلك يصبح دين الإنسانية جمعاء . ديناً يشمل كل ما حوت الكتب المقدسة في عبادات الهند القديمة ، وفي كل ما جاءت به التوراة والإنجيل والقرآن ...

وما ذا يصير إليه الأدب أو يمكن أن يكون إذا ما عمدت كل حكومة في كل دولة إلى جعله أداة مسخرة لأغراضها ، وحتمت على الأدباء أن لا يتكلموا ولا ينتجوا إلا في حدود مرسومة وأغراض معلومة مثل رجال السياسة ، إنه لا شك سيفقد صفته الإنسانية ، ويصبح مثار الحزازات والخلافات ، ومبعث الأحقاد والعداوات ، ولن يكون الأدب أدباً ومذاك ، ولكنه سيكون الجحيم الذي لا يطاق ...

إن روسيا لا تخدم حياتها الفنية بهذا العمل ، ولن تستطيع إذا ما أصرت على هذا الصنيع أن تجعل أدبها صلة تربطها بالعالم الإنساني ، وعن قريب سيفقد الأدب الروسي الروح الإنسانية التي تجعله قريباً إلى كل نفس ، حبيباً من كل قلب ، وإنها لخسارة على روسيا لا يعوضها أي نظام اشتراكي أو شيوعي في الأرض ...

الفن للفن ، تلك هي الحقيقة الأزلية التي كان بها الأدب صورة للطبيعة الإنسانية ، أما الفن للاشتراكية أولأي نزعة سياسية . فذلك لا يكون إلا في تقدير الجشع السياسي ، على أنه تقدير لن يثبت أبداً

« الجاحظ »

ظهر حديثاً :

الطبعة الجديدة المزيدة من كتاب

# في أصول الأدب

يطلب من دار الرسالة

ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ٢٥ قرشاً